المصـــــدر : الرياض
التـــاريخ : 01-04-2007 العـــدد : 14160
الصفحـات : 30 المسلسل : 236

قمة الحكمة

غازي العريضي

باختصار مفيد، ووضوح شديد، وعفوية وصدق وشجاعة افتتح خادم الحرمين الشريفين مؤتمر القمة العربية التاسعة عشرة في الرياض التي انعقدت في ظروف استثنائية

المصـــــدر : الرياض
التـــاريخ : 01-04-2007 العـــدد : 14160
الصفحـات : 30 المسلسل : 236

وطرحت حولها قبل انعقادها وبعد انتهائها اسئلة كثيرة وأبرزها، لماذا قرر الملك عبدالله استضافة القمة بعد أن كان مقرراً عقدها في مصر؟ والقرار هذا يعني ترؤس المملكة العربية السعودية، وخادم الحرمين الشريفين القمة لمدة سنة، وبالتالي متابعة تنفيذ القرارات الصادرة عنها وإدارة أزمات المنطقة الحالية وما يمكن أن ينتج من أزمات جديدة في ظل الأوضاع الصعبة والمتشابكة وعوامل الانفجارات المحتملة الظاهرة هنا وهناك. إنه قرار الإمساك بكرات النار المشتعلة. واقتحام حقول الألغام والسعي الى تفكيكها وتعطيلها وتنظيف الأرض لتكون صالحة لعمل مشترك منتج.

الملفات كثيرة. والخلافات كبيرة. وبعضها مع المملكة أخذ طابع القطيعة لأشهر - سوريا - والتحديات في كل مكان. حول كل دولة من دول الأمة ولا بد من التصدي لها في القمة.

وقبل أن يتوجه خادم الحرمين الى أي طرف خارجي باللوم والنقد ولو بالإشارة، تحدث عن واقع العرب الذين هم اليوم «ابعد عن الوحدة مما كانوا عليه في السابق» ، «ونحن غير قادرين على تقديم العون لإخواننا - في فلسطين ولبنان والعراق والسودان والصومال - معتبراً أن اللوم لا يقع على الجامعة العربية ولا على الشعوب بطبيعة الحال بل على قاعدة هذه القمة».

إنه نقد ذاتي شجاع. ومخاطبة للقادة بتحمل المسؤولية ولا أعتقد بمعرفتي المتواضعة بهذا الرجل الكبير أنه فعل ذلك ليمتص من بداية المؤتمر نقمة الشعوب العربية كما قال أحد المفكرين والسياسيين العرب في تعليقه على هذا الكلام على إحدى الفضائيات العربية وهو من الذين يبدون ارتياحاً لحكام تعاني دولهم من كثير من المشكلات على مستوى غياب الديموقراطية والتنمية، والمقاومة لاسرائيل وهو المتمسك بالدعوة اليها!!

ليس هذا موضوعنا، لكنني حرصت على هذه الإشارة لأنني كنت أتساءل كيف يمكن إصلاح حال الأمة عندما لا نقدّر نقد قائد كبير منها لذاته ولإخوانه؟؟ أليس في ذلك بداية أمل على الأقل؟ وماذا كنا نتوقع أو ماذا كنا ننتظر ونريد؟ أن يقدم الملك عبدالله صورة عن الأوضاع، وكأن كل شيء بخير، والأمور عادية والتعاون والتضامن قائمان بين العرب، والتنمية تحقق نسباً عالية في مجتمعاتنا، والفلسطينيون الذين ينتمي اليهم المفكر والسياسي المذكور، في أفضل حال، وقد حققوا مبتغاهم في دولة مستقلة ديموقراطية على أرضهم وعاصمتها القدس؟

لقد جاء كلام الملك عبدالله هذا، بعد إشارته الى الواقع الفلسطيني الصعب الذي دعا الى معالجته، ورفع الحصار الظالم عن الشعب الفلسطيني وهي رسالة موجهة الى العرب والعالم ولكن المعني المباشر بها دولتان: اسرائيل دولة الارهاب والاغتصاب وأميركا الدولة التي تحميها.

ومن يتأثر بهما في أوروبا والعالم. وأهمية هذه الدعوة الرسالة الصادقة، لا تكمن في أنها جاءت على لسان رجل مشهود له في تاريخه العربي بالشهامة والفروسية والشجاعة والانحياز الى جانب ابناء الشعب الفلسطيني، بل هي جاءت بعد ترجمته لأفكاره وقناعاته أعمالاً خيّرة. فهو الذي أنجز اتفاق مكة الذي أنتج حكومة الوحدة الوطنية الفلسطينية بعد الاتفاق على برنامج سياسي تفصيلي في رحاب مكة المكرمة. واستتبع الإنجاز، بزيارة رئيس حركة حماس خالد مشعل الى الرياض قبل المؤتمر بساعات ليؤكد وقوف الحركة مع الإجماع العربي، أي مع المبادرة العربية عملياً التي أعيد التأكيد عليها في القمة، وتم الاتفاق على تفعيلها رغم كل محاولات الضغط والابتزاز والتشويش والتشويه للموقف السعودي من خلال تحريضين: الأول يقول بأن المملكة سترضخ لضغوط أميركية تؤدي الى إدخال تعديلات على المبادرة. والثاني، وبعد فشل الضغوط والتمسك بالمبادرة كما هي، بدأ يروج لمقولة أن التفعيل هو المدخل الى الاتصال العلني باسرائيل والانفتاح عليها والحوار معها حول المبادرة لاسيما بعد أن صدرت أصوات اسرائيلية تشير الى امكانية اعتبار المبادرة قاعدة للحوار. وبالتالي بدأ التشكيك المسبق والاتهام المسبق للمملكة بأن هذا القرار بالتفعيل هو لتغطية الاتصال بالعدو منفردة أو من خلال الرباعية، وكأن القرار بالتفعيل اتخذته المملكة منفردة، ولم يكن بالإجماع على مستوى كل القادة العرب ! الذين منهم من يزايدون في قولهم انهم يقاومون ويمانعون لكننا لم نسمع كلمة منهم في هذا

المصـــــدر : الرياض
التـــاريخ : 01-04-2007 العـــدد : 14160
الصفحـات : 30 المسلسل : 236

الاتجاه داخل أروقة القمة فلماذا محاولة البعض اتهام المملكة أو الغمز من قناتها؟؟

وفي السياق ذاته كان الملك عبدالله شجاعاً في تناوله موضوع العراق من كل جوانبه وفوجئ كثيرون عندما اشار الى أنه بلد يعيش في ظل احتلال أجنبي غير مشروع. وصدر بيان من البيت الأبيض يقول: «إن القوات الأميركية موجودة هناك بطلب من العراقيين والأمم المتحدة». ولا شك في أن الملك يعرف تماماً الظروف التي مر بها العراق، وكيف كان الدخول الأميركي اليه في البداية، وماذا نجم عن ذلك، وكيف غطت لاحقاً الأمم المتحدة الدور الأميركي، وهو يعرف بدقة ويعي خطورة ما يعرف لجهة تداعيات ونتائج السياسة الأميركية والمخاطر المحدقة بالعراق ووحدة شعبه ومؤسساته وأبرز المخاطر الفتنة بل الحرب المذهبية التي تعيشها البلاد والتي يمكن أن تنعكس سلباً على كل الجوار. إضافة الى عوامل عدم الاستقرار الناجمة عن عدم وجود توازن في الدستور، أو توزيع الثروات، أو في التعامل مع شرائح العراق الاجتماعية والطائفية المختلفة!!

إن كلام الملك عبدالله عن العراق يعبر عن صدق وصفاء وواقعية في القراءة السياسية فهو لم يساير رغم معرفة الجميع بالعلاقة الخاصة التي تربط المملكة بالولايات المتحدة الأميركية والتي يحرص عليها الملك تماماً لكن ذلك لا يتعارض مع أولوية التفكير بمصلحة شعبه وابنائه وإخوانه واستقرار منطقته ومع مبدأ رفض التدخل في الشؤون الداخلية أينما كان. ومن هذا المنطلق كانت إطلالة الملك في خطابه على الوضع اللبناني المؤلم حيث تحولت شوارع لبنان الى فنادق (الاعتصامات المستمرة منذ أشهر) معرباً عن ألم من هذا الوضع لأن لبنان كان مضرب مثل بوحدته الوطنية وباتت الفتنة في مرحلة معينة تلوح مكشرة عن أنيابها.

لقد كانت رعاية الملك والأمير سعود الفيصل للبنان في القمة استثنائية. رميت بين أيديهما كل عوامل الانقسامات والخلافات، وتحرك الملك عبدالله دون أي تنازل عن قناعة أو تردد في قول حق وما يفكر به أمام كل المسؤولين الذين التقاهم. كانت مواقف الملك حكيمة وربما أخذ الموضوع اللبناني الوقت الأطول من حركة الأمير سعود الفيصل بمواكبة من الأمين العام للجامعة العربية السيد عمرو موسى ومتابعة دقيقة وأنية من سفير المملكة في بيروت الدكتور عبدالعزيز خوجة. ورغم كل الإشكالات التي أثيرت بفعل إصرار رئيس الجمهورية على إدخال تعديلات على ورقة القرار المتعلق بلبنان والتي أقرت بالإجماع في اجتماع وزراء الخارجية العرب في القاهرة والذي مهد للقمة، فإن الحكمة السعودية في التصرف أدت الى الخروج بموقف واحد وكان لتجاوب وهدوء وصبر رئيس الحكومة اللبنانية فؤاد السنيورة وحرصه على عدم إثارة أي إشكال قد يسيء الى القمة ومضيفها، أثر كبير في الوصول الى هذه النتيجة كما كان تعامل الملك مع الرئيس السنيورة موضع تقدير واحترام من الجميع لأن في ذلك تمسكاً بثوابت وقناعات. وقد نجح الملك عبدالله في الموضوع السوداني في تحقيق تقدم واختراق كبيرين من خلال اجتماعات متتالية عقدها مع الأمين العام للأمم المتحدة ومع الرئيس السوداني وقوى مختلفة أدت الى تعديل في الموقف السوداني يساعد على حماية البلد والحفاظ على وحدته وعلى موقعه تجاه المجتمع الدولي.

وموضوع الصومال كان أيضاً حاضراً في القمة، وثمة آمال بإمكانية الوصول الى حل فيه رغم الصعوبات، ومن خلال متابعة رئاسة القمة التي هي بين يدي الملك عبدالله على مدى عام كامل، لكن ذلك يتطلب تعاوناً ومساندة من كل القادة العرب وتفاعلاً إيجابياً من قبل المجتمع الدولي. وتجدر الإشارة هنا الى الحضور الدولي الاستثنائي الذي تميز به مؤتمر القمة والكلمات التي ألقاها مندوبو الدول الضيفة والأمين العام للأمم المتحدة والاتحادات والهيئات الدولية التي حضرت.

انتهت القمة. وصدرت القرارات. وبدأت الورشة الأصعب للتنفيذ والمتابعة. وفي الطريق مطبات كثيرة وعقبات ومشاكل كثيرة. وهذا يتطلب صدقية في التعاطي مع الرئاسة الجديدة ودورها.

رئاسة القمة كانت قمة الحكمة. فهل يبقى الآخرون في القمة ويغلّبون الحكمة والتعقل على أي أمر آخر؟